

سلسلة مقالات الانبا ساويرس
البطريرك الانطاكي

٥

القديس الشهيد بربلاها

يوسف حبيب

مليكة حبيب يوسف

مقدمة

ترك لنا القديس ساويرس كنوزاً متعددة الجوانب ، منها المقالات في تفسير الكتاب المقدس وتسير بعض القديسين . ومن هذه السير سيرة القديس برلاها . ويتضمن هذا المقال مناخاة بين القديس ساويرس والقديس الشهيد برلاها ؛ فيه استجابة روحية تجسم المفاهيم الحية التي تؤكد وحدة الشركة بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة المنتصرة . فيعرف وعيته بجهاد القديس الشهيد برلاها لكي يمثلوا بإيمانه ويكرموه بذكر سيرته . وفي المرض البارح لسيرة هذا القديس الشهيد يتصور الأب اللاهوتي الأكبر القديس ساويرس أن الشهيد برلاها يعاتبه لأنه فانه أن يمتدحه مع الأربعين شهيداً . فيرد على الشهيد بحجة فائقة معتزلاً بكثرة همومه ويجعل ذلك فرصة لذكر جهاد الشهيد وفضل تحمله الآلام وصلابة هزيمته وقوة روحه . هذا الحوار الروحاني أرفع وأسمى من الحواطر الدنيوية يرفع الفكر والقلب والوجدان إلى سمو التأملات السماوية بأسلوب أخاذ بعيد عن الزخرفة اللفظية مليء بالروح القوية . وأخيراً يطلب القديس

مقال القديس ساويرس

من

القديس الشهيد برلاها

مترجم من الفرنسية من الكتاب الأول من الجزء الثاني عشر من مجموعة :

Patrologia Orientales R. Graffin - F. Nau
Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche

ترجمه من السريانية وادبره

Maurice Brière

ساويرس من القديس الشهيد برلاها أن يزيل عنه الهموم ويوفر له الراحة حتى يقضى له إذا ما اتسع وقته بزوال همومه ، أن يطيل الكلام عن القديس الشهيد ويسبب في مديحه لكي يؤول ذلك لمجد الرب يسوع مخلصنا الصالح .

واخترنا هذه السيرة لأن السنكسار لم يذكر جميع القديسين ولكي نلقى بعض الضوء على بعض الشخصيات التي لم يكتب عنها شيء ، ليس لصغر شأنها أو لعدم استحقاقها ، لأن التاريخ على ما أمثال هؤلاء القديسين . والقديس ساويرس في مستهل هذه السيرة ينهنا إلى تقدير أمثال هؤلاء القديسين حتى قدرهم كغيرهم من الذين تداولتهم أقلام الكتاب والسنة المتحدين . على أن السنكسار ذكر قصة الاربعين شهيداً لكنه لم يذكر أسماءهم . . .

بركانهم المقدسة تكون معنا آمين ؟

يوسف حبيب

مليسهه حبيب يوسف

استشهاد القديس برلاها

يقول القديس ساويرس : يبدو لي كأنى أرى الشيخ القديس الشهيد برلاها يلقى على نظرة فاحصة ويتهمسكون بحمية ، وليس فقط على سبيل الحماسة ، بل أيضاً بحق عادل . أراه يتهمنى هكذا قائلاً : « ألا تسمع يا هذا ، الرسول بولس يؤكد قائلاً : « ليس عند الله محاباة » (روم ٢ : ١١) ، (كور ٣ : ٢٥) . كيف يكون ذلك ؟ انك مرتين حتى الآن قد حملت مديحاً غنياً للأربعين شهيداً الذين أعطى لهم هذا الهيكل المقدس وإني في نفس الوقت كنت شريكاً لهم وأنت لم تهتم بمهادى . إنا السنة الثالثة ولم تختصنى بكلمة مديح واحدة أو تحم مؤمناً على الفضيلة بقصيره بعماركي . لا أرغب في المدائح ، بل في فائدة إخوتى . قد تعلمت أن أرنم لله الذى له التسبيح في الجماعة مع النبي داود : « من قبلك تسيحى في الجماعة العظيمة » (مز ٢٢ : ٢٥) . هذه الجماعة العظيمة التي لا يفوقها في العظمة شيء هي التي سوف تجتمع في يوم الدينونة ، حينما تقف كل الخليقة المسافلة في جمع واحد برعدة أمام الدين وسوف يقوم مثل ملك محاطاً بحاملي الحراب والملائكة ورؤساء الملائكة وبكل الجيش المعلى . كما هو مكتوب : « يدعو السموات من فرق والأرض إلى مدابنة

شعبه ، (مز ٥٠ : ٤) ؛ يعنى أنه يفصل الذين أكلوا الاشياء
السموية عن الذين مارسوا الامور الارضية ، لاوتلك يعطى
الراحة والإقامة فوق ، وهؤلاء يتركهم مثل الارض ينحنون
للى أسفل ، وبعد أن يخزوا يصلون فى نار جهنم .

هذا ما بدأ به القديس ساويرس المقال يرز لنا بصورة
ناطقة ما يدور بخلفه عن الصلة الروحية بينه وبين القديس
وتجاوب المشاعر بينهما ، ويحسم لنا بحسب تدريباً ورياضة
روحية مزده عن الامور الارضية ثم يصور لنا رده على الشيخ
فيقول : لدى سماع هذه الكلمات أهب لادافع عن نفسى أمام
الشيخ المملوء من الايام التى قضاه فى الفضيلة والحياة الحقيقية .
ان كتاب القساوس ذاته يأمرنى أن أقف أمام الشيخ لإكراماً
وتبجيلاً لشخصه . من أمام الاشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ
وتخشى إلهك ، (لا ١٩ : ٣٢) . وفى دفاعى أزعجى له فى نفس
الوقت مديحاً .

إنى أعرف يا أبانا أنك وأنت فى جسد هزيل أظهرت قدرة
روحية هادرة وبصبرك قد رفعت هذه الحمية طالياً . لكن ماذا
أصنع أنا الذى تساورنى آلاف الهموم ؟ إنى عاجز تماماً عن أن
أغوص فى اللغة لمرض هذه المعانى المقدسة بطريقة متميزة ،

وأخشى أن أرائى أقص من قدر فضائلك ولست أرفعها لاني
مقتنع بأن بطولة الممالك العظيمة لا تحتاج لإطلاقاً إلى بهرج
الالفاظ البليغة ، لكن مجرد التلاوة وحدها كاف لكي يرفع
السامعين حتى السماء . وفى الواقع قد أتيت بما كان يجب أن
تقوله بلا نقصان ؛ وكانت لك الحكمة والتبؤ لها بسبب سنك
الكبير ، وكانت لك صولة الشباب لا يمتربها وهن الفيخوخة
فى إيمانك وآلامك . أظهرت بصبرك أنه ليس لك صلابة
الشباب لحسب بل أنت أشد صلابة من المساس أو رأى مادة
أخرى ، انك أكثر صحة وأكثر صلابة من الشباب فهو
لا يستطيع أن يتحمل هذه العذابات .

حينما سأله القاضى : « ما هى المسيحية ؟ » رد هذا الحكيم
بالروح بهذا القول الجامع : « إنها حقيقة التعاليم والاستعداد
لحياة مجيدة . » ولما أراد القاضى فى دهشة أن يتعلم أيضاً :
« ما هو الله الذى يؤمن به المسيحى ؟ » قال له إنه يتمهد بعبادة
الله الآب وابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح والروح القدس ،
لكنه لن يقبل أبداً أن يعبد خلائق . كما يعبدها الوثنيون
الجهلاء . عند هذه الكلمة تصور القاضى أن علم اللاهوت عند
الصديق جاء مؤيداً لما هو قابع فيه من الخطأ فقال ساخراً :

و إنك أنت نفسك تخدم الخليفة ، وقد إهترفت أيضاً أنك بعد
الآب تعبد لإبن الذى أرسله ضرورة والذى خلقه أبوه نفسه (١)
وقد ألهم القديس القاضى الذى كان فى سكر عبادة الأصنام يعبد
أشياء عديدة وآله مولودة فى أزمنة مختلفة حسب الروايات ،
قال : « تأمل أيها القاضى ، إن الله (الكلمة) مولود بغض
النظر عن الوقت وبدون بداية : لأنه الكلمة والمجد ولا يمكن
أن يحسب مع الخلاق ، لأن الخليفة ليسه نسلا . »

وليرتد الآريوسيون بهذه الكلمات ويعلموا أن افكارهم
غريبة عن إيمان الشهداء .

فالتفت حينئذ القاضى إلى العذابات ، منبرماً فى هذه النقطة .
وعندما جلد الصديق بقسوة ، سمعه يقول بأنه لا يشعر بشيء
فى تلك المعاملة السيئة . وأنه بعد أن أمر بأن يمزقه بواسطة
أطراف الصلب ، كان يسمع نفس الكلمات البطولية ، مع أن
جسد الشهيد كله كان مسلخاً . وأمر القاضى أيضاً أن يعلق هذا

(١) هذا ما زعمه الأناثى الرومى حسب فهمه الضيق من إيمان المسيحيين
بالإبن . وحشاً من يسكره يسكره الآب وهو المسائل « من رأى فقد
وأى الآب » . ولو كان القاضى يبدل الأمور اللاهوتية لهم من العبادة
عبادة الآب والإبن والروح القدس .

الشجاع فى المشقة ؛ وانكسرت عظمة الرقبة بسبب العنف
وسقطت العظام الأخرى من مفاصلها الطبيعية ، ومع ذلك كان
ذلك القاضى الذى فقد عقله يطالبه بأن يضحى للكلمة : أما الذى
كان يتحمل الألم ، وكأنه لا يشعر بشيء ، فكان يؤكد بنفس
الطريقة أنه لا يتألم .

كان القاضى فى جنونه بأوامره يتجاسر ويتعدى حدود
الطبيعة . فكان يأمر أن يفتحوا راحة يد الصديق وهو معلق
فى الهواء وأن يضعوا فيها حجراً ملتهباً مضافاً إليه البخور ؛
وأمر أن يقام مذبح تحته ، حتى إذا قلب يده ، يعتبر أنه قد تم بحرقاً
للسياطين . لكن ببساطة يقال له : « كيف يمكن ، أيها التافه ،
أن اللحم وقد فقد وعى آلام الجسد يميل يده ليحرق بخوراً .
إن هذا الأمر لا يقدم إثمأماً ضد الشهيد ، كما أن أحداً لا يقول
إنه يكره الشياطين عندما يسقط دمه وهو يسيل من جسده
على المذبح بدون إرادته . » إن العبادة فى حقيقة الأمر هى فى
موقف الروح الصلب الشجاع وليس بتحميل الجسد ما ليس له ،
لذلك فإن الذى أسس هذه الممارك المقدسة كان يقول : « ولا
تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن
يقتلوا . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس

والجسد كليهما في جهنم ، (مت ١٠ : ٢٨) . ومع هذا فلما كان الشهيد يعلم بشأن هذه المسألة أن الخير سوف يفسد مع الشر ، ودحطاً لضلال هذا الأمر ، صبر وأبقى يده في وضع ثابت تؤذيها النار ببطء دون أن يغلبه الجمر .

لنتعلم إذن نحن أنفسنا من هذه اليد غير المتغيرة أن يكون لنا روح صحيح ثابت غير متزعزع . بماذا يجب يوم الدينونة أولئك الذين ينكرون التقوى ليس فقط بالروح بل أيضاً بأعمالهم الذين إنحازوا للعالم التي تحتوى هل تجديف ؟

لنرجو أن يد الشهيد هذه ، اليد التي تتوج ، أن تعطى للسكنيسة بطريقة غير منظورة كل بركة روحية ؛ فهي في الواقع مليئة بألاف الخيرات ، لأنها فازت بشهادتها الخاصة خارج كل باقي الجسد .

في هذه الليلة الصيفية القصيرة ، يا أبانا ، دبحك لك هذا المقال المختصر ؛ لأن الليلة الصيفية التي للأربعين شهيداً القديسين تتيح لنا أن نتلذذ بالمسارك في حرية تامة ونسترسل في المقال ونطلب . وإذا كنت بصلواتك تخفف همونا وإذا كنت توفر لنا راحة يرمية، فربما يكون لنا استعداد لتعليقات عليّة وروحية أطول وأكثر قبولا لديك ، لمجد المسيح الإله المخلص ، له يليق المجد والكرامة والقدرة إلى أبد الدهور آمين .